

المحاضرة الرابعة

تدوين القرآن (تاريخه ،وكيفيته)

كتاب القرآن الكريم

جمع القرآن (تاريخه ،وكيفيته)

الشبهات حول جمع القرآن

جمع القرآن الكريم

اولا : معنى الجمع في اللغة .

الجَمْعُ : مصدر الفعل "جَمَعَ" ، يقال : جمع الشيء يجمعه جمعا .

وقال الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ : (الجمع : ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض ، يقال : جمعته فاجتمع)

وقال الفيروز ابادي المتوفى سنة ٨١٧هـ : (الجمع : تأليف المُتَفَرِّق)

معنى جمع القرآن في الاصطلاح .

جمع القرآن الكريم يطلق في علوم القرآن على معنيين :

أحدهما : جمعه بمعنى حفظه في الصدور عن ظهر قلب ، ويدل له قوله تعالى { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } (القيامة: ١٧) أي : جمعه في صدرك ورد الجمع بمعنى الحفظ ، فأما جمع القرآن بمعنى حفظه واستظهاره في لوح القلب فقد أوتيهِ رسول الله قبل الجميع، فكان عليه الصلاة والسلام سيد الحفاظ وأول الجماع

الثاني : وتارة على كتابته ، وجمع القرآن بمعنى كتابته، فقد اتخذ ثلاثة أشكال في ثلاثة عهود في الصدر الأول، أولها عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وثانيها عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وثالثها عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. وفيما يلي عرض لهذه المراحل

الجمع الأول : جمع القرآن كتابة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كتابا للوحي منهم الخلفاء الأربعة ، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب ،وخالد بن الوليد، كان يأمرهم بكتابة كل ما ينزل من القرآن الكريم .

وقد أخرج الحاكم في "المستدرک" عن زيد بن ثابت أنه قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع" وكلمة "الرقاع" في الحديث "وهي جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد" تشعرا بنوع أدوات الكتابة المتيسرة لكتاب الوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يكتبون الآيات في اللخاف "جمع لخفة وهي الحجارة الدقاق أو صفائح الحجارة" والعسب "جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض" والأكتاف "جمع كتف وهو عظم البعير أو الشاة يكتبون عليه بعد أن يجف" والأقتاب "جمع قتب وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه" وقطع الأديم أي: "الجلد"

وعلى هذا فإن القرآن الكريم كتب كله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لكن غير مجموع في موضوع واحد ولا مرتب السور بل كان مفرقا في العسب واللخاف والرقاع والأقتاب

الجمع الثاني: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

لقد كتب القرآن كله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه كان مفرقا الآيات والسور، وأول من جمعه في مصحف مرتب الآيات هو أبو بكر الصديق . فقد أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها القرآن منتشرا، فجمعها جامع وربطها بخيط، حتى لا يضيع منها شيء"

بعد تولي أبي بكر رضي الله عنه إمارة المسلمين واجهته أحداث جسيمة، خصوصا ما كان من قبل أهل الردة وما دار بعد ذلك من حروب طاحنة ومعارك عنيفة، خصوصا ما كان في موقعة اليمامة

وكان جمع أبي بكر للقرآن بعد موقعة اليمامة ، ففي تلك الموقعة بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب، استشهد سبعون من حفظة القرآن من الصحابة، فهال ذلك عمر بن الخطاب وجاء يقترح على أبي بكر جمع القرآن. وفي ذلك يروي البخاري في صحيحه أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر "أي: اشتد" يوم اليمامة بقرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرآن بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن! قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر. فنتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَتَّىٰ خَاتَمَ بَرَاءة. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر"

وكان زيد بن ثابت أجدر الصحابة للقيام بهذا العمل ، لما امتاز به من خصال كريمة ، وهذه الخصال كثيرة، نكتفي بذكر بعضها

١- كان زيد بن ثابت من أحسن الناس إسلامًا، فقد أسلم في الحادية عشرة من عمره، فترعرع في أحضان الإسلام، وتآدب بأدبه، وشرب من معينه الصافي، وهو دون البلوغ، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم- فأخذ الكثير والكثير من علمه ومحاسن سيرته صلى الله عليه وسلم

٢- وإنه كان من كُتَّاب الوحي، بل كان على رأسهم. "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم- إذا أنزل عليه الوحي، بعث إلي فكتبته".

٣- وكان من الراسخين في العلم

٤- وكان رضي الله عنه- من أعلم الناس بالفرائض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفرض أمتي زيد بن ثابت"

٥- وكان أقرأ الناس للقرآن

٦- وكان من أذكى الناس وأعقلهم كما شهد له الصديق وغيره.

٧- وكان شابًا يوم اختاره لجمع القرآن، والشباب قوة وعافية، وتجعل المرء قادرًا على صنع ما يعجز عنه الكثير من الشيوخ.

٨- كان رضي الله عنه- من أشد الناس تثبيتًا في أمر القرآن، وتحريًا للدقة في الحفظ والكتابة.

٩- وكان زاهدًا ورعًا تقيًا، لا يلتفت إلى الدنيا، ولا ينظر إلى ما في أيدي الناس، ولا يخشى في الله لومة لائم.

١٠- وكان رضي الله عنه- قد تعلم خط اليهود بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول مع علي بن أبي طالب: عليه السلام "رحم الله أبا بكر، هو أول من جمع كتاب الله بين اللوحين" . أما عمر فقد سجل له التاريخ أنه صاحب الفكرة، كما سجل لزيد أنه وضعها موضع التنفيذ.

الجمع الثالث: جمع القرآن على عهد عثمان رضي الله عنه:

اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه، وتفرَّق القراء في الأمصار وفي ميادين القتال، وأخذ أهل كل مَصرٍ عَمَّنْ وفد إليهم قراءته. ووجوه القراءة التي يؤدون بها القرآن مختلفة باختلاف الأحرف التي نزل عليها.

روى البخاري في "صحيحه" بسنده عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في

القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك. فأرسلت به حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القراءة فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا. وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"

عدد المصاحف العثمانية

عدد ما نُسخَ من المصاحف:

قد اختلف الرواة في عدد المصاحف التي نسخها زيد ومن معه في عهد عثمان.

- ١- فقيل: كان عددها سبعة، أُرسِلت إلى: مكة، والشام، والبصرة، والكوفة، واليمن، والبحرين، والمدينة
- ٢- وقيل: كان عددها أربعة: العراقي، والشامي، والمصري، والمصحف الإمام، أو: الكوفي، والبصري، والشامي، والمصحف الإمام
- ٣- وقيل: كان عددها خمسة، وذهب السيوطي في الإتيان إلى أن هذا هو المشهور.
- ٤- وذكر ابن الجزري أنها ثمانية: مصحفٌ أُرسِلَ به إلى البصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، ومصحف تركه في المدينة، ومصحف خصَّ به نفسه، وهو الذي يُسمَّى بالمصحف الإمام، ومصحف إلى مكة، ومصحف إلى اليمن، ومصحف إلى البحرين .

والمصاحف التي كتبها عثمان لا يكاد يُوجدُ منها مصحف واحد اليوم، والذي يروى عن ابن كثير في كتابه "فضائل القرآن" أنه رأى واحداً منها بجامع دمشق بالشام، في رقٍّ يظنه من جلود الإبل، ويروى أن هذا المصحف الشامي نُقلَ إلى إنجلترا بعد أن ظلَّ في حوزة قياصرة الروس

الموازنة بين جمع القرآن الكريم في العهود الثلاثة

يمكن إجمال تلك الموازنة بالنقاط الآتية :

- ١- تجرد الكتابة من النقط والشكل مشترك بين العهود الثلاثة .
- ٢- جمع القرآن في مصحف واحد مشترك بين عهد الصديق وعهد عثمان
- ٣- ترتيب الآيات في سورها مشترك بين العهود الثلاثة
- ٤- ترتيب السور مشترك بين العهود الثلاثة

٥- القرآن الكريم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان مفرق الآيات والصور وغير مجموع في مكان واحد، القرآن الكريم على عهد الصديق وعثمان رضي الله تعالى عنهم مجموع في مكان واحد الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان:

يتبين من النصوص أن جمع أبي بكر يختلف عن جمع عثمان في الباعث والكيفية.

١- فالباعث لدى أبي بكر رضي الله عنه- لجمع القرآن خشية ذهابه بذهاب حملته، حين استحر القتل بالقرآن.

٢- والباعث لدى عثمان رضي الله عنه- كثرة الاختلاف في وجوه القراءة، حين شاهد هذا الاختلاف في الأمصار وخطاً بعضهم بعضاً.

٣- وجمع أبي بكر للقرآن كان نقلاً لما كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب. وجمعاً له في مصحف واحد مرتب الآيات والصور. مقتصرًا على ما لم تُنسخ تلاوته، مشتملاً على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

٤- وجمع عثمان للقرآن كان نسخاً له على حرف واحد من الحروف السبعة، حتى يجمع المسلمين على مصحف واحد. وحرف واحد يقرعون به دون ما عداه من الأحرف الستة الأخرى.

الشبهات حول جمع القرآن

هناك شبهة يثيرها أهل الأهواء لتوهين الثقة بالقرآن، والتشكيك في دقة جمعه، ونحن نورد أهمها ونرد عليها:

١- قالوا: إن الآثار قد دلت على أن القرآن قد سقط منه شيء لم يكتب في المصاحف التي بأيدينا اليوم: وهذه شبهة باطلة ليس لها دليل وقولا لا يعول عليه لان الله تعالى تعهد بحفظ القرآن

٢- وقالوا: إن في القرآن ما ليس منه، واستدلوا على ذلك بما روي من أن ابن مسعود أنكر أن المعوذتين من القرآن.

ويُجاب عن ذلك بأن ما نُقلَ عن ابن مسعود رضي الله عنه- لم يصح، وهو مخالف لإجماع الأمة، قال النووي في شرح المذهب: "وأجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد شيئاً منها كفر، وما نُقلَ عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح"، وقال ابن حزم: "هذا كذب على ابن مسعود

وموضوع". وعلى فرض صحته، فالذي يُحتمل: أن ابن مسعود لم يسمع المعوذتين من النبي -صلى الله عليه وسلم- فتوقف في أمرهما. وإنكار ابن مسعود لا ينقض إجماع الأمة على أن المعوذتين من القرآن المتواتر.